المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 -Electronic ISSN 2790-1254
العدد 9 لسنة 2023
No. 9 – May 2023

# ثنائية الحدث والمكان في سرديات حامد فاضل

د. زينب ساطع عباس

**ملخص البحث**

ما أزال أُؤمن أن مسار العلم والمعرفة لا يتحقق إلا بالقراءة المستمرة، وفي محاولتي الجادة لقراءة تأريخ السماوة قادتني الخطوات لاحد كتاب الادب السماوي، فوجدت كنزا رائعا وصيدا ثمينا ذلك لان الكاتب الراحل حامد فاضل كان شخصية ابداعية فريدة ، ومع كل مؤلفاته ونتاجاته الادبية لكنه لم يكن محظوظا بتسليط اضواء القراءة لقلمه الرشيق.. وهذا ما آليت على نفسي اختياره ليكون بعض نتاج قلمه مادة لبحثي.. الذي اسميته : ((ثنائية الحدث والمكان في نصوص حامد فاضل)) ، وقد كتب حامد فاضل كتبا منها مدينة في علبة والمفعاة وألف صباح وصباح وما ترويه الشمس وما يرويه القمر ولقاء الجمعة وغيرها.. وقد تم ذكره من باب الكتاب المبدعين في كتاب السماوة تاريخ ورجال لعبد الرضا نجم وكتاب معجم الأدباء والكتاب في السماوة الكبرى لعبد الجبار بجاي الزهوي.. وجرت حول كتبه دراسات أكاديمية واستضافات في جامعات كثيرة.. وبالعودة إلى كتبه كان له في كل كتاب من هذه الكتاب تنوع في السرد والاسلوب والفكرة مع تضمين للعبارة الاسلوبية الرشيقة.. وقد وجدت قلمه مثل الفرجال فهو يثبت أرضه كتاباته في ارض السماوة من جهة وينطلق بالقدم الاخرى في مختلف الأماكن والحوادث والشخصيات.. وتتقارب فكرة البحث بالبحث عن ثنائية الحدث والمكان.. بمعنى كيف ان الحدث يغير بتأثير المكان على السارد وكيف يغير المكان في القلم نفسه حين يحدث حدث ما غريب وغير متوقع.. وفي كتابات حامد فاضل كان المكان شاخصا بكل تمثلاته وأوصافه والتصوير الذهني الناتج عن سرده المكاني لهذا جعل المكان هو بطل سردياته قبل أن تكون شخصيات حكاياته هي البطلة.. أما الحدث فكان المحرك السحري المشوق لتلك الشخصيات التي رسم لها فاضل تقبل نسبيا لوقع الحدث وشدته من خلال التمرد المعقول الذي يصيب تلك الشخصيات وكيف تنتزع الحلول بمرور الوقت الادبي لقراءتها.. ولان المكان يحتل الصدارة في سرديات الكاتب فقد عمدت ان اجعل البحث متكون من مبحثين بحيث يشتغل على المكان الطبيعي في المبحث الاول وعلى المكان المصطنع في المبحث الثاني.. ولان الحدث يكثر في المكان المصطنع أكثر من المكان الطبيعي فقد ادخلت ثيمة المونولوج التي يقولها الراوي ليغدو النص مليئا بالحوارات والاسترجاعات التي تخدم النص وتقدم صورة ذهنية حقيقية للمتلقي.. وفي نظرة قرائية سريعة لنصوص الكاتب نجد ان الراوي هنا هو رجل والمستمع امرأة .وان الوقت الذي تروى فيه تلك الحكايات هو الصباح الباكر جدا .. بمعنى ان الحدث يكون في أوج نشاطه وحماسه، وان الغاية من المرويات هي نشر ثقافة البلاد بدل ان يختنق بها صدر الراوي بخلاف مرويات الف ليلة وليلة التي كانت تحكى اتقاءً للقتل، كما يمكن ملاحظة استئثار الراوي بالسرد و الوصف وتضاؤل نسبة الحوار بين الشخصيات بخلاف الحوارات في الف ليلة وليلة، ومعظم القصص كانت ابطالها شخص واحد او شخصيتين بخلاف الف ليلة وليلة. كما اننا في البحث سندرس تركيز الحدث في فضاء النص وكيفية قوته وأثرها في تحريك عجلات القصة أو الراوية لان الكاتب كان روائيا وقاصا في الوقت نفسه، أضافة لكونه كان ناقدا ومترجما وكاتب مقالة ادبية جميلة.

**كلمات مفتاحية** : ثنائية الحدث ، المكان ، حامد فاضل

## Duality Of Event And Place In The Narratives Of Hamid Fadel

Dr. Zainab Sati' Abbas

**Abstract**

I still believe that the path of science and knowledge can only be achieved through continuous reading, and in my serious attempt to read the history of Samawah, the steps led me to one of the books of heavenly literature, and I

found a wonderful treasure and a valuable catch because the late writer Hamid Fadel was a unique creative personality, and with all his writings and literary productions, but he was not He was fortunate to shed the lights of reading for his graceful pen.. And this is what I decided to choose so that some of the products of his pen would be a material for my research.. which I called: ((The Duality of Event and Place in the Texts of Hamid Fadel)), and Hamid Fadel wrote books including A City in a Box, Al-Mofa'a, and A Thousand Mornings and Mornings What the sun narrates, what the moon narrates, the Friday meeting, and others. Returning to his books, he had in each of these books a variety of narration, style, and idea, with an inclusion of graceful stylistic phrases. By searching for the duality of event and place.. in the sense of how the event changes with the effect of the place on the narrator and how the place changes in the pen itself when some strange and unexpected event occurs.. In the writings of Hamid Fadel, the place was personified with all its representations, descriptions, and mental imagery resulting from its spatial narration. That is why he made the place He is the hero of his narratives before the characters of his stories are the heroine.. As for the event, it was the magical, suspenseful engine for those characters that Fadel drew for. Relatively accept the impact of the event and its severity through the reasonable rebellion that afflicts these characters and how solutions are extracted over the passage of literary time to read them.. and because the place occupies the forefront In the writer's narrations, I intended to make the research consist of two chapters so that it works on the natural place in the first topic and on the artificial place in the second topic. It serves the text and presents a true mental image for the recipient.. In a quick reading of the writer's texts, we find that the narrator here is a man and the listener is a woman. And the time when these stories are told is very early in the morning.. In the sense that the event is at the height of its activity and enthusiasm, and the purpose of the narrations It is to spread the culture of the country instead of suffocating the chest of the narrator, unlike the narratives of One Thousand and One Nights, which were told in order to avoid killing. One Thousand and One Nights. Also, in the research, we will study the focus of the event in the space of the text and how its power and impact in moving the wheels of the story or the narrator because the writer was a novelist and storyteller at the same time, in addition to being a critic, translator and writer of a beautiful literary article.

**Keywords**: duality of event, place, Hamid Fadel

**المقدمة**

تعد عملية النقد من العمليات العصية بالنسبة للنصوص الأدبية، وكم هناك كم هائل من النصوص التي ارتقت بسبب جودة النقود التي طرقت أبواب سردياتها، والنصوص التي اخترتها للكاتب السماوي حامد فاضل الذي وافته المنية في آب 2021م، نصوص بحد ذاتها تميزت بالقوة البناء السردي المتين، وما محاولتي في الكتابة عنه إلا لأجل إظهار قوة تلك النصوص وتمكنها من الحدث والمكان معا ..

وفي اثناء عملي أستاذة في اللغة العربية اعتدت ان أعرفَ الطلبةَ قوةَ الفعل، وكيف انه أقوى من الاسم والحرف، وان الفعل بتقسيمه لماض ومضارع وأمر فان الفعل المضارع يتصدر القوة في الافعال فهو يمثل الحدث للكلام وكيف يؤثر الحدث في سيرورة السرد وتغيير مجريات توالي النص سواء أكان قصة أم رواية أم ادب رحلة أم سيرة ذاتية، بل يكاد ان يكون النص الخالي من الأحداث نصا انشائيا لا قوة فيه، ويعرف الحدث بأنه: " سلسلة من الحركات الموجهة إلى هدف ما توحي بدرجة من التأثير المحسوس والانعكاس على الاشياء التي تحيط به وهو ينطوي على تعبير روحي عند الشاعر عن أفعال وردود أفعال وعن صراع يؤلف قضية تعين على الشعر والتصويرات اللفظية والتعبير عن الإرادة والخلجات النفسية.. والحدث هو الحركة بعينها التي تكشف عن المكانية وقوة التأثير والإحساس بالتكوين الحي للأشياء"[1] ، وقد تناول تودوروف الحدث وفق نظرية المبنى الحكائي وقد لخص تلك الأنساق بثلاثة مرتكزات هي التتابع والتضمين والتناوب[2]، ولهذا لا يمكن ان يُكتب نص بدون جملة من الاحداث في الرواية او حدث هام يكون محور القصة او جملة تفاصيل حدثية تتخلل حياة المحكي عنه السيرة أو الرحلة، وبطبيعة الحال فالأحداث تختلف بقوتها وضعفها بضخامتها أو صغرها، واي ما كانت فان الكاتب له الحرية المطلقة في وضعها بالشكل الذي يخدم نصه.

ولو افترشنا الأحداث التي تجري في الواقع لنراها بشكل او بآخر قد تم تذويبها داخل النصوص مع إضافة صور الخيال التي يرتئيها الكاتب، ومثل ان العالم عبارة عن صراعات متشابكة فأن الحدث يتأصل على الفكرة نفسها حيث ان: " الحدث يتخذ دائما شكل صراع ، يتجلى انطلاقا من العرض بين شخصيتين أو عدة شخصيات ذات اهتمامات متباينة. ان الحدث يتقدم من خلال ديناميه القوى المتواجهة. ان الصراع يقسو بحسب المنطق الداخلي، إلى حد اللحظة التي فيها تقاوم العقبات رغبة وارادة الابطال التي يبدو من الصعوبة بمكان تذليلها او قهرها"[3]، ومهما اتخذت الاحداث مفترق طرق وتقاطعات فان الكاتب ليختم ما بدأه سيرتب النهاية لتلك الأحداث لتكون شكلا مكتوبا مقبولا لدى المتلقي.

وصحيح ان البحث يدور في سمتي الحدث والمكان، غير اننا في النهاية ندرس نصا ادبياً تضمن مرتكزات النص المقبول من وصف ومكان وشخصية ومرجعيات ثقافية واحداث حيث: "تقتضي عملية التواصل بناء علاقات النص_ بوصفه عقدة تتفرع منها مجموع الوظائف التداولية/ التواصلية، تلك العلاقات التي يختص بعضها بعلاقة النص بالنصوص الأخرى، التي يمثل النص حلقة من حلقات سلسلتها، والأخرى التي تربط بالمؤثرات الاجتماعية والثقافية التي تحدد علاقة النص بكل من منتجه (المتكلم / الكاتب) والمتلقي (المستمع أو القارئ)" [4]، ومن هنا فان الانطلاق من مرويات حامد فاضل الادبية كان آمنا لإدراكه سمات وعناصر النص المقبول والمقنع أدبيا.

وفي هذا البحث وبعد ان اعطيت نبذة سريعة عن الحدث أوجه الكتابة حول المكان وهو المساحة التي يصفها الكاتب لتكون مسرحا لأحداثه، " وقد عرّف المعجميون والصرفيون المكان بمعان متقاربة ، فرأى بعضهم أن المكان يعني (الموضع) ، ورأى آخرون ان المكان: موضع الكينونة، ورأى غيرهم أنه موضع الاستقرار"[5]، والمكان حين نتحدث عنه يلزمنا الوقوف كثيرا على هذا المرتكز الحيوي المؤثر، ولا سيما ان المكان متعدد وله صور كثيرة ويتضمن وصفا مغايرا لكل نوع منه ما بين مكان أليف ومعادي ومغلق ومفتوح وطبيعي ومشيد وهذا كله بيد الكاتب نفسه حيث ان : " الحدود المكانية التي يرسمها الروائي ضيقة احياناً تعطي الشعور بأن

الشخصية تعيش في نوع من السجن، أو تكون مفتوحة تعطي الشعور بالانطلاق والحرية والحركة. يسود الفضاء المغلق في الروايات التي تركز موضوعها داخل الحياة الباطنة للشخصيات، بينما يسود الفضاء المفتوح في روايات السفر والمغامرة من كل نوع"[6] ، كما ان هناك في النصوص اماكن حقيقية واماكن خيالية، حيث ان : " المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن ان يكون مكانا لا مباليا، ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط ، بل بكل ما في الخيال من تحيز ، اننا ننجذب نحوه لأنه يكثف الوجود في حدود تتسم بالحماية"[7] ، والمكان عند مرويات حامد فاضل أكثرها حقيقية وليست خيالية فهو قد أرخ في نصوصه أحداثا حقيقية جرت سواء أكانت في السجون أم الصحراء أم مدينة السماوة بشكل عام.

ولكي نطبق ما تم التنويه والكتابة عنه من حدث ومكان متأصل في مرويات حامد فاضل فأننا نبدأ مع النص: " أرى الشوق في مقلتيك ، فانظري هذه الحكاية آتية بيضاء مثل غيمة في ربيع، أستهلها بالقول : أيتها الراوية السعيدة ، أن بدوية معمرة رشيدة عاشت ببادية السماوة العتيدة ،بدوية حكاءة كعين نضاحة لا تنهي حكايتها إلا لتنسج غيرها.. لنتخيلها معا أغمضي عينيك أترينها ؟ هناك قريبا في الفيء بين الخيمة والرواق(سياج يوضع حول الخيمة)، انظري أترينها جالسة تحكي لأحفادها حكاية الوسم، والوسم ان كنت لا تعرفين رمز يطبع بالكي على افخاذ الإبل، ليشير إلى مالكها... " [8] ، وهذه القصة التي تدور أحداثها في الصحراء بشكل كامل من أول كلمة لآخرها تحكي قصة تعلق امرأة بدوية بذئب، وكيف ان ابن عمها يقوم في نهاية القصة بقتل الذئب الذي ما كانت تعرفه لولا الوسم الموجود في ساقه، والقصة مثل اخواتها في هذه المجموع تدور حول الصحراء، فالنص جاء مقاربة مع قصص الف ليلة وليلة الخالدة ولكن مع فروقات جلية منها:

أ__ ان الراوي هنا هو رجل والمستمع امرأة .

ب__ ان الوقت الذي تروى فيه تلك الحكايات هو الصباح الباكر جدا.

ج__ ان الغاية من المرويات هي نشر ثقافة البلاد بدل ان يختنق بها صدر الراوي بخلاف مرويات الف ليلة وليلة التي كانت تحكى اتقاء للقتل.

د__ استئثار الراوي بالسرد و الوصف وتضاؤل نسبة الحوار بين الشخصيات بخلاف الحوارات في الف ليلة وليلة

خ__ معظم القصص كانت ابطالها شخص واحد او شخصيتين بخلاف الف ليلة وليلة.

ه__ ان المكان يجري في الصحراء بخلاف ألف ليلة وليلة الذي كان يدور الروي فيه قصر الخلافة.

ع__ وهنا أهم مكامن البحث ان الروائي يعمد لرسم حكاية داخل حكاية عن طريق وضع صورة للحكاية الشعبية، ولعل ذلك متأت من رغبته في تقريب ما يريد كتابته من الصورة الجميلة التي ارتبطت بحكايات الف ليلة وليلة، وذلك للأثر والدفء والألفة المتسربة من صوت امرأة تحكي الحدث وتصف المكان، " حيث ان الشحنة التي تولدها استهلال الحكاية الشعبية (كان يا مكان، في قديم الزمان. الخ) شحنة مركزي تستبطن الجملة الاستهلالية للحكاية فاتحة مساراتها على الأمكنة والازمنة

القديمة والحديثة، من اجل تكوين حكاية جديدة تعتبر امتدادا للحكاية التي أقامت بيتها في الأمكنة القديمة، وبعد أن تعيد الحكاية الثيمة القديمة بأثواب معاصرة وحديثة، يكون المكان الجديد للحكاية معاصرا، وتكون لغة الأمكنة معاصرة"[9].. وبهذه الهيكلية يمكن استشعار الصورة الذهنية في المكان والحدث ممزوجا بالقدم والدفء الذي اراده لنا الكاتب من خلال قص الحكايات بطريقة ال(كان ياما كان).

وفي مثال آخر اخترته يزاوج بين الحدث والمكان كان القصة المسماة ب(الزقورة) التي تبدأ: " أناخ المساء جماله، فتوحدت ألوان الصحراء وتلفعت الزقورة بردة الصمت الأكحل. وعلى امواج الرمل، تركت أرواح الاجداد آثارا شفيفة وهي تطوف حول الزقورة للاطمئنان على تراثها الغافي على هدهد الزمن المؤرجح لمهد الأرض.. الغريب الابلق الذي راقبته أرواح الأجداد وهو يترجل من سيارة الجيب المكشوفة تحت سقف الليل، مد يده إلى سلك أسفل المقود، فختمت الجيب رغاءها بتجشؤ مبتور ، ثم أغمضت عينيها واستغشت ثوبا أسود" [10] ، وتندرج القصة حول شخص غريب هو منقب من الالمان يأتي الزقورة محاولا التنقيب فيها لكن هذا التنقيب يحدث في الليل مما يثير حفيظة الذئب الذي يحرس المكان مع أرواح الأجداد فيحدث ان يصبح له مثل الشبح الذي بظهر ويختفي ليزيد رعب المنقب الذي عمد الكاتب ان يصفه بالغريب في كل مراحل القصة معززا دور الخوف من قبل ارواح الاجداد والذئب على مكان الزقورة وهذا الارث العظيم الذي يريد الغريب ان يستبيحه ويأخذه لتنتهي القص بهجوم الذئب على المنقب الذي فر الى اعلى العمود واصرار الذئب على حفر الرمال التي تحيط بالعمود ، تلك الرمال التي كانت بسبب عصبية الذئب تتصاعد حتى تصل عيون المنقب . ومع هذا النص نجد التحام حدث الاقتحام وفعاليته مع المكان لدرجة ان المتلقي يتشعر سينما صورية مذهلة أمامه، حيث " يستبطن حامد فاضل التاريخ فينزع عنه الوثيق المدونة، ويحيله إلى نغمة شعرية يراها مجسدة في المكان، فلم تغب عنه تواريخ الأقوام التي مرت على هذه الصحراء، وعلمتها وتركت فيها آثارا وامكنة مطمورة فكتب في التاريخ مباضع تراثية تحفر في الامكنة مثل اللغة الجديدة التي يوفرها وعينا بالمكان.. حامد فاضل يقيم عمارته الأدبية تحت الرمل وليس فوقه، فما فوقه هو من فعل الأزمنة الحاضرة أما ما تحته فهو التأريخ المدون على الأرض والمقابر والحروب والسيوف والانهار وغدران الماء ومراتع الابل"[11]، وفي قراءتي لهذا النص وما يمكن استنطاق الفكر منه الاعتزاز الامثل الذي جاءت به القصة من قبل الكاتب بآثار بلده، ولما كان من الصعب اقحام نفسه او اسمه فيه فقد استعاض بروح الاجداد ليشخص خوفها من الغريب وكيف جعلها ذات قردة لتحاكي روح الذئب وتعزز من رغبته في مقاومة أي دخيل يفكر في مس ذلك الصرح المقدس الملقب بالزقورة.. مما جعل الحدث معاكس تماما لعظمة المكان.

ومع مثال آخر من قصص حامد فاضل ما جاء في الكتاب نفسه لكن بقصة مغايرة اسمها (أخاديد): " سمعت الأكباد العطشى نداء الماء تتناهى إلى مكمن البدوي رنين الاجراس المعلقة في رقاب الأكباش حين غذت القافلة السير باتجاه (الفيضة)، وترك كل من فيها لحنجرته أمر التعبير عن الفرح فاختلط الرغاء بالنباح بالثغاء بالحداء بالصياح، ثم اعتلى سلطان الصمت عرش البادية عندما انشغل الجميع برود الماء، تراجع البدوي في مكمنه بين أشجار السدر فتدحرجت من تحت نعاله حصيات أفزعت سحلية سرقت بانسيابها التفاتة منه. ثم عاد يراقب بعينين ذئبيتين القافلة التي حطت رحالها قرب الماء .. كان الاطفال الذين ترجلوا عن ظهور الحمير يطاردون الخراف..... " [12]، ان الصحراء المتمثل في القصة فيها من الهدوء ما يجعل الحدث

ان كان حول دخول غريبٍ ما ذا أثر فيها، حيث تتبدل الاصوات لا يسمع صوت الدوي ولا الفوخ ولا السهول ولا الزفيان وهي أصوات الصحراء، بل تسمع أصوات انسية غريبة لم يعتد اهل الصحراء على استماعها وان استمعوا لها فبترقب وحذر خوفا من الطارق الجديد، والقصة هذه جعلتني أتأمل كثيرا في فحوى الفكرة التي اراد الكاتب رفضها وهي فكرة الثأر، ف" الكتابة من حيث إنها تدوين واعي لفعل الحياة مغامرة ، فماذا عن الكتابة النقدية. هل استوفت شروط الوجود الانطولوجي المحكوم بالسبق الإبداعي. النقد علم قد لا تحتمل غرفه الأدواتية نزعات إبداعية قبل أن يكون عالما موازيا تستدرج كهوفه وتشعباته عوالم النصوص وتعتاش عليها"[13] ، وقد جاء في هذه القصة من الحكمة ما يؤثر تلقائيا لأي متلقٍ: " الله يعطي ويأخذ، ونحن مثل عشب البريشق الأرض يرتفع أخضر ريان صامدا بوجه الريح وعواصف الرمل وشدة المطر ثم يكبر، يصفر، يذوي، يجف ويموت تاركاً بذوره في رحم الأرض لتنبت عشباً آخر"[14]، ولعل في هذا الكلام ما يمثل تماثل الحدث مع المكان بشكل موثق واي حدث اكبر من النمو والعيش في الارض والبقاء والنمو فيها لحين الموت وإن كان الحدث يستلزم وقتا مطولا، ولو لم يكن التشبيه هنا بحياة الإنسان ما كان المثال نافعاً لكنه أي الكاتب جعله مشابه لحدث ولادة الانسان وبقائه ومروره بمراحل العمر لحين الانطفاء.

ومع مثال آخر حرصت على ذكره ضمن سرديات حامد فاضل ما جاء في قصته: (الفريسة): " الليل ولى والصباح أتى لينصب خيمته، يعد موقده ويذكي جذوته، حتى إذا ما جاءت الشمس البتول تخطو على الرمل البليل، ستهلل الصحراء هامسة بصوت العشب، حفيف أغصان السدر وخفق أجنحة القطا، وتعد متكأً لها كي تستريح . هو هكذا أمر الصباح في كل يوم حين يسفح ضوءه فوق الرمال تقوم منشدة إليه البادية، فيسير في خطو وئيد، ويروح يستمع النشيد وعلى النشيد تقوم صحراء السماوة كي تضيف لعمرها يوما جديدا.. وأزيح شك الخيمة السوداء عن بدوية هرعت إلى الكانون، أذكت جذوة تحت الرماد، فانساب منها أفعوان من دخان" [15]، وفي هذا الاقتباس ذكرت ان الحدث الذي شدني هو حدث الصباح وعلى الرغم من ان الزمان شيء والحدث شيء لكن الانسنة التي صبغ بها الكاتب نصه وكيف انه جعل الليل والنهار والصباح والشمس اموراً عاقلة هو ما جعلني اختار هذه الصورة الشعرية كحدث هام ليكون مدخلا حقيقيا للقصة وليس مجرد وصف إنشائي لان جمال الصورة الشعري وحلاوة المفردات خلقت روحا في النص السردي وذلك لأن الصورة الشعرية: " مدار بحث مستفيض لمختلف العلوم التي تُعنى بدراسة الفنون عموماً، ومنها الشعر والأدب، والباحث الذي يريد أن يتتبع تأريخ التنظير للصورة عليه أن يعود إلى الفيلسوف اليوناني ارسطو ليجد في كتابيه : في الشعر والخطابة، ما يمكن أن يكون البدايات الأولى لدراسة هذا القضية البالغة الأهمية في تشخيص (شعرية) العمل الشعري"[16]، لذا ما كان من السهل تجاوز حدث مقدم الصباح مع كل التغييرات التي صحبها هذا المجيء.. وباستكمال القصة نجد الحدث الذي جعل البطلة أو الفريسة تقف وتتجلد ويهرب منها شعور الخوف إثر مهاجمة الذئب لها او احاطته به قبيل الانقضاض عليها: " لم تتقهقر وهي تترقب لحظة الانقضاض التي تقهقرت هي ذاكرتها إذ رأت جدتها التي طواها الثرى قبل عام جاءت تتوكأ على عصا من الخيزران، أخائفة سألتها وأنت ابنه البادية ؟! ربيت في حجر جدتك التي بعصاها كانت تطارد أعتى الذئاب" [17]، وبهذا الحدث الذي طرق على الفريسة (بطلة القصة) وهو حدث عقلي تطرد عنها سمة الخوف وتبقى في مواجهة العدو المتربص بها لتكتشف فيها بعد انه لم يكن سوى رجل قد عف عنها حين رأى

شموخها. وفي ذلك الحدث ما يشير بقوة الى عناد أهل البادية والصحراء واعتزازهم بألفتهم مع الارض وترويضهم الذئاب .. وفي صورة مختصرة نجد ان الباحث كثير المونولوج في سردياته وفوق ذلك هو يعمد للتذكير بمدينته والقصص والصحراء فيها لوجود التحام مع تلك الأرض، حيث ان : " كان للموروث العربي اثره الواضح عند كتاب المثنى، إذ كوّنوا بقراءاتهم خزينا معرفيا تمكنوا فيما بعد من ادخاله في خضم انتاجهم الادبي النثري وبصورة فنية تعينهم على خدمة الغرض الذي يتلمسون تحقيقه عبره، عن طريق وجهة نظر حداثوية جاءت مغايرة عند بعض الكتاب في المثنى ومنهم حامد فاضل" [17] ، وما يمكن استلهامه بشكل موثوق من سرديات حامد فاضل ابتعاده عن البنيوية ووجود صوته في نتاجاته أكثرها، ولا سيما ان : " عصرنا عصر التلقي... وان المتلقي يلعب دورا عاما في فهم النص ولكن ليس بالاعتماد على الجملة وانما على النص بشكل عام من غير تجزئة" [18] ، وان كان من صورة نتوصل بها في ختام البحث فان الكاتب لم يترك المكان في سردياته كلها وما ان يتركه فهو ليتحدث عن شخصية أو زمان أو وصف ما وايضا يعقد ذلك كله بالمكان ويجعله يتأثر به ويؤثر عليه، فان اردنا استنطاق نصوص حامد فان الصحراء هي التي ستتمثل لنا امرأة حسناء جميلة تجيد السرد وتحترف خلق المؤثرات، وكلما أوغلنا بالتحليل والتعليل بهذه المقاربات النصية فلا نخرج بغير هذه النتيجة.. فليس الحدث لديه هو الذي يرتبط بالمكان بكل كل شيء من شخصية أو زمن أو مونولوج أو مقولة ضمنها هنا أو هناك .. وقد قال الكاتب في كتابه الأخير الذي وصل إلى السماوة بعد وفاته بيوم واحد في مقالة بعنوان دلو في بئر بصية : " هل يمكن لحضري مثلي عشق الصحراء أن يتلفع دثارا مغزولاً من ضوء قمر صحراوي ، ليتخفى بستار الزهد الفطري، ويكمن لاقتناص لحظة المرأى التي تكون ربما قريبة من عين المخيال / تتنفس في مسامة رمل/ تسبت تحت حصاة / تكمن في ندبة حجر/ تتلصص من شجيرة/ تختلس من بقعة عشب/ تلبد في كهف / تغور في بئر/ تمكث في قلب كمأة/ لكنها لا تسفر لعينين أدمنتا الارتطام بالجدران، أو تبوح بأسرارها المكنونة في كتاب الصحراء الذي لا تنقاد صفحاته غلا لأصابع العاصفة... بالصبر الصحراء العطشى ، أي كبد أودعه الله في جوفها؟ " [19] ، ففي هذا الاقتباس يجمع الكاتب جملة أمور من الاحداث لا يمكن ان تحدث إلا في المكان المعني (الصحراء) .. وهو نص يكاد يقترب من قصيدة النثر المكثفة بالشعرية ، تلك الشعرية المعاصرة التي امتازت : " بتخطي حدود الأجناس الأدبية، ونقل مزايا بعضها إلى ، بل تعدت ذلك إلى توليد أنواع جديدة "[20] ،حيث يبدو إن : " المكان عالم واسع، لا سيما في السرد، فقد اكتسب أهميته بكونه ذا علاقة ببناء الشخصية، ان لم نقل جعل منه في بعض النصوص شخصية لها تاريخها وتأثيرها في بنية النص، ذلك لأن المكان يبادل الأثر والتأثير في نسق العمل الأدبي لارتباطه بالتاريخ الذي يحدد حركة الظواهر بشكلها العام ..." [21] ، وبذا وككلمة أخيرة نختم به البحث ان الكاتب قد ورث قلمه للمكان بنسبة سبعين بالمائة وجعله البطل الحقيقي في سروده ومروياته وقصصه، وجعل كل من الشخصية والزمان والمونولوج والوصف لمكملات النصوص موزع في الثلاثين بالمائة المتبقية..

**المصادر**

1_ القول الشعري والقراءة السردية / محمد صالح عبد الرضا/ ط1/ 2013/ مديرية دار الكتب للطباعة والنشر / جامعة البصرة/ ص 89

2_ ينظر المصدر نفسه / 90

3_ معجم النقد الأدبي / ترجمة وتحرير كامل عويد العامري / ط1/ 2013/ وزار الثقافة_ دار المأمون/ ص 19

4- نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والاجراء/ أ. د. محمد عبد العزيز عبد الدايم، ود. عرفات فيصل المناع/ منشورات الاختلاف الجزائر/ ط١/ 2015م/ ص ٢٩٦

٥_ الشعرية المكانية (رؤية جديدة) / ياسين النصير / دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع/ ط1/ 2018م/ ص 11

6_ معجم مصطلحات نقد الرواية/ د. لطيف الزيتوني/ دار النهار للنشر بيروت لبنان/ ط١ / ٢٠٠٢ / ص ١٢٩

7_ جماليات المكان / غاستون بلاشار/ ترجمة غالب هلسا/ المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع/ ط2/ 1984م/ ص31

8_ ألف صباح وصباح (متوالية حكائية)/ حامد فاضل / منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق/ ط1/ 2017م/ ص 29

9_ الشعرية المكانية (رؤية جديدة) / ياسين النصير / دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع/ ط1/ 2018م/ص17

10_ ما ترويه الشمس ما يرويه القمر/ حامد فاضل / دار الشؤون الثقافية العامة_ بغداد/ ط1/ 2004/ ص135

11_ ثقافة الأمكنة / مرائي الصحراء المسفوحة/ حامد فاضل/ منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق/ الطبعة الثانية/ 2021/ ص 10(الاقتباس من نص كتبه الاستاذ الناقد ياسين النصير لكتاب ثقافة الامكنة وتم نشره في جريدة الزمان الدولية).

12_ ما ترويه الشمس ما يرويه القمر/ص 176

13_ في موسيقى الرواية / أشواق النعيمي/ دار الدراويش للنشر والترجمة _ ألمانيا/ الطبعة الأولى / نيسان 2021/ ص 11

14_ ما ترويه الشمس ما يرويه القمر/ ص 181

15_ أحفاد أوروك/ مختارات قصصية لأدباء السماوة/ الاتحاد العام للأدباء والكتاب العراقيين _ فرع المثنى/ الطبعة الأولى/ 2013م/ ص 84

16_ جماليات الصورة من الميثولوجيا إلى الحداثة/ ناظم عودة / التنوير/ الطبع الأولى / 2013م / ص15

17_ الادب القصصي في المثنى(دراسة في الموضوع والاداة) / شيرين ريسان رفاس/ دار أديان / ط1/ 2016/ ص 195

18_ ينظر : بدلا من الخوف(وجهة نظر في إشكاليات ادب الحداثة)/ عبد العزيز إبراهيم / دار الشؤون الثقافية العامة _ بغداد/ الطبعة الأولى/ 2019م / ص 12_13_14

19_ ثقافة الأمكنة مرائي الصحراء المسفوحة / حامد فاضل / منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق / الطبعة الثانية / 2021/ ص 33

20_ مرايا نرسيس / حاتم الصكَّر / المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع/ الطبعة الأولى / 1999م / ص 19

21_ الذاكرة المستعادة_ سفر الزمان في رؤى المكان/ جاسم عاصي/ منشورات اتحاد الأدباء والكتاب في البصرة/ طبع في لبنان 2017/ ص 15